بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا
يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ
أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ
إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٦ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ٨ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٩ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ
أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ
كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ
فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
١٧ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ
١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٩

سورة الشّعراء

سورة الشعراء مكيّة وآياتها سبع وعشرون ومائتان آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

[٢] بدأت السورة بالإشارة إلىٰ أن آيات هذا الكتاب التي أنزلها الله علىٰ نبيه ﷺ في هذه السورة وغيرها هي آيات بينات واضحات، وضحت أحكام الله وشرائعه وأوامره ونواهيه، وأمور الدنيا والآخرة.

[٣] ثم سلىٰ سبحانه نبيه ﷺ فقال له: لعلك مُهْلِكٌ نفسك علىٰ هؤلاء الكفار لأنهم لم يؤمنوا بالله ولم يصدقوا رسالتك، فلا تحزن عليهم فقد أديت ما عليك من التبليغ.

وقد كان ﷺ يتألم ويحزن بسبب إعراض قريش وكبريائهم من سماع الهدىٰ، وعدم رغبتهم في ترك ما توارثوه من عبادة الأصنام، فأمره الله أن يرفق بنفسه وأن لا يهلكها من أجلهم؛ فإن الهدىٰ هدىٰ الله؛ إن أطاعوا فذلك من صالحهم وسبيل لنجاتهم، وإن أصروا فهم الخاسرون، وقد وضح سبحانه ذلك له في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

[٤] ثم أخبر سبحانه نبيه ﷺ: أنه لو أراد الله قهرهم وإرغامهم علىٰ الإيمان لأنزل عليهم معجزة من السماء تجبرهم علىٰ ذلك، وتصير أعناقهم خاضعة ذليلة، ولفعل بهم مثل ما فعل ببني إسرائيل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧١]، ولكن حكمة الله اقتضت أن لا يدخل أحد في الإسلام إلّا طائعًا راغبًا مختارًا.

[٥-٦-٧] ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء الكفار ما يأتيهم شيء محدث من القرآن، أي: حديث النزول إلّا كذبوا واستهزأوا به وأعرضوا عنه، ولم يتأملوا ما فيه من المواعظ والعِبَر. ثم أخبر سبحانه زيادة علىٰ إعراضهم فإنهم كذبوا بالقرآن فسوف تأتيهم أخبار العذاب الذي سينالهم جزاء تكذيبهم واستهزائهم به. ثم نبه جل وعلا هؤلاء المستهزئين المكذبين بالبعث إلىٰ النظر في الأرض كيف أحياها الله بالمطر، وجعل فيها أصناف النباتات الحسنة البديعة المشتملة علىٰ الذكر والأنثىٰ.

[٨-٩] ثم ختم سبحانه هذه الآيات مبينًا أن ما خرج من الأرض من أنواع الثمار والنباتات المختلفة لعلامةً واضحةً علىٰ قدرة الله علىٰ البعث، وإحياء الموتىٰ وإعادتهم، ومع ذلك فإن أكثر المشركين المكذبين بالبعث ليسوا من المؤمنين المصدقين؛ لأنهم استحبوا الكفر علىٰ الإيمان؛ لأنه لا يكلفهم بشيء من العبادات، واعلم يانبي الله أن ربَّك هو العزيز القوي القادر علىٰ إهلاك المكذبين المعاندين للأنبياء والرسل، وهو سبحانه كثير الرحمة بعباده، ومن رحمته أنه ينجي النبي وأتباعه من المؤمنين، ومن رحمته أنه يُمهِلهم ولا يعاجلهم بالعقوبة لعلهم يتوبون.

[١٠-١١] واذكر يانبي الله لقومك قصة موسىٰ مع فرعون وقومه المجرمين، إذ نادىٰ جل وعلا موسىٰ من جانب الطور الأيمن، وأمره أن يأت القوم الظالمين. قوم فرعون، وأن يقول لهم: ألا تخافون سخط الله وعقابه الأليم، بسبب ما أنتم فيه من الكفر والضلال المبين.

وموسىٰ يعرف جبروت فرعون وطغيانه؛ حيث عاش أول حياته في قصره.

[١٢-١٣] فقال موسىٰ عليه السلام: يارب إني أخشىٰ أن يكذبوني ولا يصدقوني فيما أدعوهم إليه. وأخاف أن يضيق صدري بسبب تكذيبهم إياي ويمتلئ همًّا وغمًّا، وأخشىٰ أن ينعقد لساني فلا أستطيع أن أوصل الدعوة بطلاقة، فكلف أخي هارون ليكون نصيرًا ومُعينًا لي في هذا الأمر وفي هذه الدعوة لفصاحته، فاستجاب الله له.

[١٤] ثم قال موسىٰ: يارب إن لهم علي ذنبًا فأخاف أن يقتلوني. والذنب هو ما قام به موسىٰ عليه السلام من قتل القبطي المشاغب مع الإسرائيلي الذي استنجد به.

[١٥] فطمأنه سبحانه وتعالىٰ وقال له: كلا لن يقتلوك، فاذهب أنت وهارون بالمعجزات الدالة علىٰ صدقكما، واعلم بأني معكما بالعلم والنصرة والرؤية، ومستمع لِمَا يدور بينكم، وحافظ لكما من غدره.

[١٦-١٧] فأمر جل وعلا موسىٰ وهارون بالدخول علىٰ فرعون لدعوته للتوحيد، وأن يقولا له: لقد أرسلنا الله إليك لتؤمن به وتوحِّده، ولِتترك بني إسرائيل يؤمنوا بالله ويتبعونا، ويخرجوا معنا.

[١٨-١٩] فقال فرعون لموسىٰ عليه السلام: ألم نُنْعِمْ عليك بأن رعيْناك في صغرك فلم نقتلك؛ بل ربيناك في قَصْرِنا، ونشأت بيننا، وبقيت عندنا سنين من عمرك؟! ثم فعلت فعلتك الشنعاء بقتلك القبطيّ؟! وأنت من الجاحدين لِمَا قدمنا لك، وأنعمنا عليك فكفرت نعمتنا.

قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ
فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ
تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ
٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ
٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ
٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ
٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢
وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ
إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم
بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ
حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩

[٢٠] فقال موسىٰ عليه السلام: فعلتُ ذلك عن جهل وعن غير عمدٍ.

[٢١] ثم قال موسىٰ عليه السلام: ثم فررتُ منكم حينها وخرجتُ من بينكم خائفًا حين أردتم قتلي، فذهبتُ إلىٰ مدين، فمنَّ الله عليَّ فغفر لي، وأعطاني العلم النافع، واختارني رسولًا إليكم.

[٢٢] ثم قال موسىٰ عليه السلام: وتذكر يافرعون هذه المنة التي تمن بها علي والتي لا وجه لك فيها، وتنسىٰ أنك استعبدت بني إسرائيل.

[٢٣] فقال فرعون بعلوٍّ وعتوٍّ: وما رب العالمين الذي تدَّعي أنه أرسلك إلينا؟

[٢٤] فقال موسىٰ عليه السلام: هو خالق السماوات والأرض وما بينهما، ومدبِّر شؤونهما، فإن كنتم توقنون بذلك فآمنوا وصدِّقوا.

[٢٥] فقال فرعون في استخفافٍ لقومه: ألّا تسمعون ما يقول هذا الرجل من وجود ربٍّ غيري!!

[٢٦] فقال موسىٰ عليه السلام: الله ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين، فهو الذي خلقكم وخلق آباءكم وهو وحده المستحق للعبادة.

[٢٧] فقال فرعون مُغالطًا مُغتاظًا: إن هذا الذي يزعم أنه رسولٌ إليكم ليس بعاقل؛ ما هو إلّا رجل مجنون.

[٢٨] فاستمرَّ موسىٰ عليه السلام في دعوته، وإقامة الأدلّة علىٰ بطلان دعوىٰ فرعون، فقال مخاطبًا الجميع: الله ربكم ورب المشرق والمغرب وما بينهما، فتفكروا إن كانت لكم عقولٌ تميزون بها الخالق من المخلوق، وتميزون بها الربَّ من المربوب.

[٢٩] فقال فرعون مهدِّدًا ومتوعِّدًا: لئن اتخذت لك إلهًا غيري وربًّا سوايَ لأسجننك ياموسىٰ مع المسجونين، ولأحبسنك مع المحبوسين.

[٣٠] فقال له موسىٰ عليه السلام: أرأيت إن جئتك بمعجزةٍ بينةٍ واضحةٍ تدلُّ علىٰ صدق رسالتي؟!

[٣١] فقال فرعون: فإن كنت من الصادقين في دعواك فأظهر لنا ذلك.

[٣٢] ثم إن موسىٰ عليه السلام ألقىٰ العصا التي كانت في يده، فإذا بها تنقلب إلىٰ ثعبان واضح ظاهرٍ جليٍّ.

[٣٣] ثم إنه وضع يده عليه السلام في جيبه ثم أخرجها فإذا بها تشعّ بياضًا، ولها نورٌ عظيم، تُبهرُ الناظرين.

[٣٤] فقال فرعون – مراوغًا وهاربًا من هذه الآية التي تدل علىٰ صدق موسىٰ في رسالته – قال لمن حوله من قومه: اعلموا ياقومي إنَّ موسىٰ لساحرٌ عليمٌ بالسحر، ماهرٌ به.

[٣٥] ثم قال فرعون أيضًا: وإنه يريد بسحره هذا أن يخرجكم من دياركم، أي: من عقائدكم، فماذا ترون أن نفعل به؟!.

[٣٦] فقال قوم فرعون: نرىٰ أن تؤخر أمر موسىٰ وهارون، وأن ترسل جندك في المملكة ليجمعوا لك جميع السحرة.

[٣٧] ثم قالوا: فإذا اجتمع السحرة فإنك تختار منهم كل ساحر برع في علم السحر وتفوق فيه.

[٣٨] ثم أخبر سبحانه أن السحرة جمعوا من أنحاء المملكة، وحُدِّدَ لهم اللقاء مع موسىٰ عليه السلام يوم الزينة وهو يوم عيدهم الذي يتفرغ الناس فيه من أعمالهم.

[٣٩] ثم إن فرعون وقومه حثوا الناس علىٰ المجيء، وحضور ذلك اليوم المشهود.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ
﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾
رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ
لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ
وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ
إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ
أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم
مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ
﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾
كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

[٤٠] وقيل للناس: احرصوا علىٰ الاحتشاد وحضور ذلك المشهد العظيم، لتشاهدوا غلبة السحرة لموسىٰ فتثبتوا علىٰ دينكم، ولم يقولوا: لعلنا نتبع الغالب مما يؤكد رفضهم للدعوة.

[٤١-٤٢] فلما وصل السحرة إلىٰ فرعون قالوا له: هل لنا من أجرٍ ورفعةٍ إن نحن غلبنا موسىٰ؟ فأجابهم فرعون قائلًا: نعم، لكم ذلك، وزيادة عليه: تكونون من المقربين عندي.

[٤٣-٤٤] ثم قال موسىٰ للسَّحَرَة في ثباتٍ ويقين: ألقوا ما تريدون إلقاءه، بعد أن وعظهم وخوفهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١]، فألقىٰ السحرة حبالهم وعصيهم فخُيِّل للحاضرين أنها حياتٌ تسعىٰ، وقالوا وهم يلقونها: بعزة فرعون نُقسِم إنا نحن الغالبون المنتصرون.

[٤٥-٤٦-٤٧-٤٨] فألقىٰ موسىٰ عصاه، فانقلبت حيَّةً عظيمةً حقيقيَّةً تبتلع ما ألقوه دجلًا وتزويرًا، وحينها اندهش السحرة وانبهروا بهذه الآيات العظيمة، وعلِموا أن موسىٰ رسولٌ من عند الله، فما كان منهم إلّا أن خرُّوا ساجدين لله رب العالمين، ثم قالوا: آمنا وصدّقنا بالله ربِّ العالمين، ربِّ موسىٰ وهارون.

[٤٩] فأُسقِط في يد فرعون، ولكنه عاند وكابر، وقال للسحرة: آمنتم وصدقتم برب موسىٰ وهارون، واتبعتم موسىٰ؟! من غير أن تستأذنوني لأسمح لكم بذلك، ثم قال مكابرًا ومعارضًا للحقيقة الناصعة: إن موسىٰ هو كبيركم الذي علمكم هذا السحر، ثم هددهم وتوعدهم قائلًا: سوف تعلمون ما ينتظركم من العقاب والعذاب، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي اليد اليمنىٰ مع الرجل اليسرىٰ أو العكس، ثم لأصلبنكم أجمعين علىٰ جذوع النخل.

[٥٠-٥١] فأجابوه في ثباتٍ بعد أن خالطت بشاشةُ الإيمان قلوبَهُم: لا نبالي ولا يهمنا ما تفعل بنا بعد أن أكرمنا ربنا بهذا الإيمان، فإن مرجعنا، ومنقلَبَنا، ومصيرَنا إلىٰ الله، فيجازينا علىٰ أعمالنا وثباتنا، ونحن نطمع بهذا التوحيد والثبات، والمسارعة إلىٰ الإيمان؛ أن يغفر الله لنا ذنوبنا من الكفر والسحر وغير ذلك.

[٥٢-٥٣-٥٤-٥٥-٥٦] وأوحىٰ جل وعلا إلىٰ موسىٰ أن يخرج ببني إسرائيل من أول الليل، وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونكم ليلحقوا بكم ويردوكم. فلما علم فرعون بخروج موسىٰ مع بني إسرائيل اشتد حنقه، وأرسل في قرىٰ مصر وأريافها من يحشر الجنود لملاحقته، وقال لهم مشجعًا علىٰ الإيقاع ببني إسرائيل: إنهم لمجموعة حقيرةٌ، قليلةٌ أعدادهم، ولكنهم ملأوا صدورنا غيظًا وحقدًا عليهم بسبب هروبهم منا، وتركهم ديننا، ولكنَّا يقظون لهم، مستعدّون للإمساك بهم وتأديبهم.

[٥٧-٥٨] فأخرج الله بقدرته فرعون وقومه من أرض مصر وبساتينها وجنانها وزروعها، ومائها العذب الرائق، وأخرجناهم من أموالهم وكنوزهم، ومنازلهم الحسان؛ ليلقوا مصيرهم الذي قدره وكتبه الله عليهم وهو الغرق، بسبب إصرارهم علىٰ الكفر والطغيان.

[٥٩] يخبر سبحانه أنه كما قضىٰ علىٰ فرعون وقومه بالغرق وأصبحت ديارهم خالية فقد مكّن لموسىٰ وبني إسرائيل أن يرثوا ديارهم لو أرادوا، لكنهم عادوا بعدها للأرض المقدسة فحصل التيه في صحراء سيناء قبل أن يصلوها. قال سيد قطب في ظلال القرآن: (ولا يُعرف أن بني إسرائيل عادوا إلىٰ مصر بعد خروجهم إلىٰ الأرض المقدسة وورثوا ملك مصر وكنوز فرعون ومقامه، لذلك يقول المفسرون: إنهم ورثوا مثل ما كان لفرعون ومَلَئِهِ؛ فهي وراثة لنوع ما كانوا فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم). وفي تتبعي لقصتهم في القرآن وجدتهم ورثوا التِّيه واللجاج واللعن وتفريقهم في الأرض ومسخ بعضهم، ولم أجد لهم عزًّا ولا دولة إلّا في ملك داود وابنه سليمان عليهما السلام؛ فأما سليمان فقد اتهموه بالسحر لما سخَّر الله له الشياطين ومردة الجن، وأما داود فقد اتهموه بامرأة قائد جيشه كما ذكر ذلك المفسرون عند قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ...﴾[ص:٢٤]. وعلىٰ هذا يكون إرثهم هنا هو المذكور في قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾[الأعراف:١٣٧]؛ حيث صار لا منازع لهم لو أرادوها أو غيرها بعد إغراق فرعون وجنوده وهم ينظرون.

[٦٠] ثم بين جل وعلا أن فرعون وجندَه لحقوا بموسىٰ ومن معه من بني إسرائيل عند ساحل البحر الأحمر وقت شروق الشمس.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾
قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ
ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ
﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ
﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾
وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟
بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ
إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ
يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى
يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى
يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

[٦١] فلمّا لحق فرعون وجنوده ببني إسرائيل وتقارب الفريقان، ورأىٰ كل واحدٍ منهما الآخر، قال بنو إسرائيل لموسىٰ عليه السلام: إن فرعون وجنوده اقترب وصولهم والبحر أمامنا ولا طاقة لنا بهم.

[٦٢] فبادرهم موسىٰ عليه السلام بثباتٍ ويقينٍ قائلًا: كلّا، لن يُدركونا ولن ينالوا منّا، وذلك أن الله جل في علاه معنا، وهو ناصرنا، وهادينا إلىٰ سبيل نجاتنا.

[٦٣] وجاء فرج الله حيث أوحىٰ جل وعلا إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه التي في يده، ففعل، فانفلق البحر اثني عشر طريقًا، وكان كل جزء فارق بين الطرق كالجبل العظيم.

[٦٤] ثم قرَّب سبحانه فرعون ومن معه من البحر وجعلهم يدخلونه بعد دخول موسىٰ وبني إسرائيل.

[٦٥] فمشىٰ موسىٰ وقومه إلىٰ أن وصلوا البرّ، ونجوا من فرعون وقومه، ونجوا من الغرق في البحر جميعًا، ولم يتخلف منهم أحد.

[٦٦] ثم إن فرعون وقومه دخلوا في البحر علىٰ الطريق الذي مشىٰ فيه موسىٰ وقومه؛ فأطبق الله عليهم البحر؛ فأغرقهم فهلكوا أجمعون.

[٦٧-٦٨] ثم ختم سبحانه هذه الآيات مبينًا أن إغراق فرعون وجنده لعلامةً واضحةً، ودليلًا قاطعًا علىٰ قدرة الله وعلىٰ صحة ما جاء به موسىٰ عليه السلام، وعلىٰ بطلان ما كان عليه فرعون وقومه، ومع ذلك فإن أكثر قوم فرعون ليسوا من المؤمنين المصدّقين. واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

[٦٩-٧٠-٧١] واقصص يانبي الله علىٰ الكافرين من قومك خبر إبراهيم عليه السلام يوم أن قال لأبيه وقومه علىٰ سبيل الدعوة وإقامة الحجة عليهم: أي شيء تعبدون ياقومي؟ وهو عارف عليه السلام أن قومه في ضلال، وأنهم عبدة للأوثان والكواكب، ولكنه يريد أن يوضح لهم أنهم تائهون، وأنهم يعبدون أشياء لا تملك ضرًّا ولا نفعًا، وأن جهودهم ضائعة. فقالوا: نعبد أصنامًا مصنوعة من الحجارة وما أشبهها فنعكف علىٰ عبادتها والتقرب لها.

[٧٢-٧٣] فقال إبراهيم لقومه: هل تسمعكم هذه الأصنام إذا دعوتموها؟، وهل تنفعكم إذا طلبتم منها النفع؟، وهل تضركم أو تلحق بكم أذىً إذا أنتم تركتم عبادتها؟!

[٧٤] فقالوا لإبراهيم: لقد وجدنا آباءنا يعبدون هذه الأصنام فقلدناهم، وفعلنا مثلهم، وهذا إقرار منهم أنها لا تسمع، ولا تضر ولا تنفع.

[٧٥-٧٦-٧٧] فلمّا تيقن إبراهيم عليه السلام أنهم ضالون عن الحق ذكر لهم براءته مما يعبدون هم وآباؤهم، فقال لهم علىٰ سبيل الإنكار: أرأيتم ياقوم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر؛ فإنها عدو لي لأنها معبودات باطلة، ولا أعبد إلا الله رب العالمين وحده لا شريك له.

[٧٨] ثم قال إبراهيم عليه السلام: إنني لا أعبد إلا الله رب العالمين الذي أوجدني من العدم، وهداني ويسّر لي طريق سعادتي في الدنيا والآخرة.

[٧٩] وقال عليه السلام أيضًا: وكذلك هو وحده الذي يرزقني بأنواع الطعام والشراب والغذاء.

[٨٠] وقال عليه السلام أيضًا: وكذلك هو وحده الذي يشفيني ويعافيني من الأمراض والأسقام إذا نزلت عليّ وأحاطت بي.

[٨١] وقال عليه السلام أيضًا: وكذلك هو سبحانه المتفرِّد بإماتتي عند انقضاء أجلي، وهو الذي يبعثني ويحييني مرَّةً أخرىٰ للجزاء والحساب.

[٨٢] وقال عليه السلام أيضًا: وكلي رجاءٌ وأملٌ أن يغفر الله لي خطيئتي يوم القيامة، وأن يعفو ويتجاوز عني.

[٨٣] ثم قال إبراهيم عليه السلام داعيًا ربه: يارب امنحني علمًا وفهمًا واسعًا، واجعل لي ذكرًا حسنًا يتداوله الناس من بعدي، وألحقني بعبادك الصالحين الذين رضيت عنهم ورضوا عنك، واجمع بيني وبينهم في جناتك جنات النعيم.

وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ
ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ
يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ
سَلِيمٖ ٨٩ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ
٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ
أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ
أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٩٩ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١ فَلَوۡ
أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٠٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٤ كَذَّبَتۡ
قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦
إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ
عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ١١٠ ۞قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١

[٨٤-٨٥-٨٦] ثم دعا إبراهيم ربه قائلًا: واجعل لي يارب ذكْرًا حسنًا، وثناءً جميلًا يبقىٰ لي بعد موتي إلىٰ يوم القيامة، وقد أعطاه الله سُؤْلَه. ثم قال: واجعلني يارب من أهل الجنة الذين يرثون نعيمها، ثم قال: واغفر لأبي إنه كان من الضالين؛ فقد وعدته يارب بأن أستغفر له عندك، وكان ذلك حينما فارق إبراهيم أبيه فقال له: سأستغفر لك ربي، ولكن لما تبين له بأن أباه عدو لله وأنه مصر علىٰ الكفر تبرأ منه.

[٨٧-٨٨-٨٩] ثم قال إبراهيم داعيًا ربه أيضًا: ولا تفضحني يارب ولا تذلّني وتهني علىٰ رؤوس الأشهاد يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويقفون للجزاء والحساب، ذلك اليوم الذي لا ينفع العبدَ فيه مالٌ ولا بنون، لا ينفع فيه إلّا من جاء إلىٰ الله بقلبٍ سليم صحيح خالٍ من الشرك والشكّ والنفاق.

[٩٠] وفي يوم القيامة: تُقرَّب الجنة من عباد الله الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه

[٩١] وفي يوم القيامة أيضًا: فإن النار تبين وتوضح للكافرين الجاحدين أهل الغواية والضلال.

[٩٢-٩٣] ثم يقال للكفار توبيخًا وتقريعًا: أين تلك الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟!! هل ينفعونكم اليوم بدفع العذاب عنكم؟ وهل يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم؟!!

[٩٤-٩٥] ثم أخبر سبحانه أن جميع الكفار تتابع إسقاطهم واحدًا تلو الآخر علىٰ وجوههم في النار – التابعين والمتبوعين –، ومعهم جميع جنود وأعوان إبليس من الصَّادين عن سبيل الله، والداعين إلىٰ عبادة غير الله.

[٩٦-٩٧-٩٨-٩٩] فقال العابدون المشركون مخاصمين مَن عبدوهم وأشركوا بهم: تالله لقد كنّا في ضلال بيِّنٍ واضح لا خفاء فيه؛ لمّا سويناكم في العبادة بالله رب العالمين، وما أغوانا وأبعدنا عن طريق الحق إلىٰ طريق الضلال إلّا هؤلاء الأئمة المجرمون الذين صدونا عن سبيل الله وكانوا يدعوننا إلىٰ الضلال الذي أوجب لنا النار.

[١٠٠-١٠١] ثم قالوا: فما لنا حينئذٍ من شافع يشفع لنا فينقذنا من عذاب الله، ولا من صديقٍ قريبٍ ينفعنا بصداقته.

[١٠٢] ثم قالوا: فياليتنا نعود إلىٰ الدنيا مرَّةً ثانيةً فنكون ممّن آمن وصدَّق؛ فنكون من الناجين من هذا العذاب.

[١٠٣] ثم ختم سبحانه هذه الآيات مبينًا أن في قصة إبراهيم مع قومه، وتساقط المشركين في جهنم، وخصومتهم فيها، وحرمانهم من الشفاعة؛ لعلامة واضحة علىٰ قدرة الله وعبرةً للمعتبرين، ومع ذلك فإن أكثر من تبلغه هذه الآيات من الكفرة ليسوا من المؤمنين بها ولا المصدقين لها.

[١٠٤] واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

[١٠٥] يخبر جل وعلا أن قوم نوح كذّبوا دعوة نبيِّهم؛ حيث دعاهم إلىٰ التوحيد والإيمان، فلم يصدّقوه ولم يؤمنوا به، واعتُبر تكذيبهم لنوح عليه السلام تكذيبًا لجميع الأنبياء والرسل، إذ دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، فمن كذّب بأحدهم، فقد كذّب بهم جميعًا.

[١٠٦-١٠٧-١٠٨] ثم قال لهم نبيهم نوح عليه السلام: ألا تتقون الله وتخافون من عقابه بسبب شرككم وعبادتكم غيره معه؟! ثم قال لهم: لقد اختصَّكم الله بإرسالي إليكم، وأنا أمينٌ فيما أبلغكم عن ربي سبحانه وتعالىٰ، فلا أتقوَّل، ولا أفتري من قِبَل نفسي. فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعون فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك.

[١٠٩] ثم قال نوح عليه السلام لقومه: اعلموا ياقوم أني لا أطلب منكم أجرًا مقابل دعوتي إياكم للتوحيد، وإنما أجري وثوابي علىٰ الله رب العالمين.

[١١٠] ثم أمرهم عليه السلام بأن يتقوا الله ويخافوا عقابه، وأن يطيعوه فيما يدعوهم إليه لكي ينجوا ويفلحوا.

[١١١] فأجابه قومه قائلين: أنؤمن بك ونصدقك ونتبعك، وقد اتبعك أراذل الناس وفقراؤهم؟!

قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ
لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ
١١٥ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ
١١٩ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ١٢٠ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ كَذَّبَتۡ
عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ١٢٥ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٢٦ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٧ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩
وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٣١
وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ
١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
١٣٥ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦

[١١٢] فقال لهم نوحٌ عليه السلام: إني كلِّفتُ بدعوة الناس إلىٰ التوحيد، ولم أُكلَّف بمعرفة أعمالهم وحرفهم وصنائعهم ونحو ذلك.

[١١٣] واعلموا أن حساب جميع الناس ومجازاتهم إنما هو علىٰ الله، ولو كنتم تشعرون بهذه الحقيقة لمّا قلتم ما قلتم.

[١١٤] ثم قال عليه السلام: واعلموا أني لست بطاردٍ أحدًا ممّن آمن بي وصدَّق برسالتي.

[١١٥] وقال عليه السلام أيضًا: وما أنا إلّا نذير أُبيِّن لكم، وأبلغكم عن الله، وأجتهد في ذلك، والأمر كله لله.

[١١٦] فقال له قومه متوعدين إيّاه: لئن لم تكفّ يانوح عمّا تدعو إليه لنقتلنَّك رمْيًا بالحجارة.

[١١٧-١١٨] فرفع نوحٌ عليه السلام شكواه لله رب العالمين قائلًا: يارب إن قومي كذّبوني ولم يصدّقوني، ولم يؤمنوا بي، فاحكم بيني وبينهم حُكمًا يهلك فيه الباغي والمُبطِل منّا، ونجِّني يارب مع من آمن بي وصدّقني.

[١١٩] فاستجاب الله دعاء نوح عليه السلام فنجّاه ومَن معه في السفينة التي صنعها بوحي من الله والتي امتلأت بالناس والدوابّ والأنعام.

[١٢٠] ثم أخبر سبحانه أنه أغرق الباقين من قوم نوحٍ ممّن كذَّبَ ولم يُؤمِن.

[١٢١] ثم ختم سبحانه هذه الآيات مبينًا أن في هذا النبأ، وفي ذلك الصراع بين التوحيد والشرك، ونجاة الموحدين، وهلاك الكافرين؛ لآية وعلامة واضحة تدلّ علىٰ صدق رُسُلِنا وصحة ما جاؤوا به، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يؤمنون بالله وشرعه، ولا يصدّقون رُسُله.

[١٢٢] واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

[١٢٣] يخبر جل وعلا بأن قوم عاد كذّبوا نبيَّهم هودًا؛ حيث دعاهم إلىٰ التوحيد والإيمان، فلم يصدّقوه ولم يؤمنوا به، واعتُبر تكذيبهم له عليه السلام تكذيبًا لجميع الأنبياء والرسل، إذ دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، فمَن كذَّب بأحدهم، فقد كذَّب بهم جميعًا.

[١٢٤-١٢٥-١٢٦] فقال هودٌ عليه السلام لقومه: ألا تتقون الله وتخافون من عقابه بسبب شرككم وعبادتكم غيره معه؟! ثم قال لهم: لقد اختصَّكم الله بإرسالي إليكم، وأنا أمينٌ فيما أبلغكم عن ربي سبحانه وتعالىٰ، فلا أتقوَّل، ولا أفتري من قِبَل نفسي، فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك.

[١٢٧] واعلموا ياقوم أني لا أطلب منكم أجرًا مقابل دعوتي إيّاكم للتوحيد، وإنما أجري وثوابي علىٰ الله رب العالمين.

[١٢٨-١٢٩-١٣٠] ثم قال هود مستنكرًا علىٰ قومه: أتنهمكون في الدنيا وتنشغلون بها ببنائكم في كلِّ مكان مرتفع من الأرض بناءً عاليًا تُباهون به، وتراقبون به المارَّة، وأيضًا تَبنونَ مساكن وقصورًا شاهقةً عظيمةً، ومزارع دائمة الماء والخضرة، وتجعلون لها بركًا ومجابي للمياه كأنكم ستُخلَّدون في هذه الدنيا، والحال أنه لا سبيل إلىٰ الخلود لأحد، وإذا سطوتُم علىٰ أحدٍ فإنكم عتاةٌ مجرمون؛ تسطون بعنفٍ وجبروتٍ وقسوة.

[١٣١-١٣٢-١٣٣-١٣٤] ثم قال لهم هود: فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعون فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك، وخافوا من الله وحده الذي أمدكم بهذه النعم التي تعلمونها ولا تجهلونها، ومن جملتها: هذه الأنعام من الإبل والبقر والغنم، وأيضًا: أعطاكم كثرة النسل، وأعطاكم البساتين المثمرة، وسخّر لكم ينابيع الماء.

[١٣٥-١٣٦] وقال هود: اعلموا ياقوم إني أخاف عليكم - إن لم تؤمنوا وتتوبوا - أن ينزل بكم عذابٌ عظيمٌ من الله فيهلككم؛ فأجابوه في عتوٍّ وطغيان: اعلم أن وعْظَك إيّانا، وعدم وعظك عندنا سواء؛ فلا تتعب نفسك فلَن نؤمن لك.

إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٤٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ
قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٤٢ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٤٣
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٤٤ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٥ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦
فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨
وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ١٤٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٥٣ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ
نَٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٥٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٥٩

[١٣٧-١٣٨] ثم قال قوم عاد لنبيهم هود عليه السلام: واعلم ياهود أن ما نحن فيه من هذه الأحوال والنعم إلّا مثل أحوال من قبلنا، وهذه أحوال الدهر. ونحن لن يمسَّنا العذاب ولن نذوق العقاب كما تزعم وتدعي.

[١٣٩-١٤٠] وهكذا كذّبت عادٌ نبيها هودًا عليه السلام، ولم يؤمنوا بما جاء به، فأهلكهم الله بريحٍ شديدة وصفها سبحانه في آية أخرىٰ أنها ريح صرصر عاتية. ثم بيّن سبحانه أن في هذا الخبر، وفي ذلك الصراع بين التوحيد والشرك، وهلاك الكافرين؛ لآية وعلامة واضحة تدلّ علىٰ صدق رُسُلِنا وصحة ما جاؤوا به، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يؤمنون بالله وشرعه، ولا يصدّقون رُسُله، واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

[١٤١] يخبر جل وعلا أن ثمودَ كذّبوا دعوةَ نبيِّهم صالح؛ حيث دعاهم إلىٰ التوحيد والإيمان، فلم يصدّقوه ولم يؤمنوا به، واعتُبر تكذيبهم له عليه السلام تكذيبًا لجميع الأنبياء والرسل، إذ دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، فمن كذّب بأحدهم، فقد كذّب بهم جميعًا.

[١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥] ثم قال لهم نبيهم وأخوهم في النسب صالحٌ عليه السلام: ألّا تتقون الله وتخافون من عقابه بسبب شركِكم وعبادتكم غيره معه؟!. وقال لهم: لقد اختصَّكم الله بإرسالي إليكم، وأنا أمينٌ فيما أبلغكم عن ربي سبحانه وتعالىٰ؛ فلا أتقوَّل ولا أفتري من قِبَل نفسي، فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعونِ فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك. واعلموا ياقوم أني لا أطلب منكم أجرًا مقابل دعوتي إيّاكم للتوحيد، وإنما أجري وثوابي علىٰ الله رب العالمين.

[١٤٦-١٤٧-١٤٨] ثم قال صالح مستنكرًا علىٰ قومه: أتظنون أن الله يترككم في هذا النعيم والخيرات آمنين مطمئنين، وفي هذه البساتين الخضراء، والحدائق الغنَّاء، والعيون الجارية، والزروع المثمرة، والنخيل الذي له ثمر كثيرٌ، بدون حساب أو سؤال عن شكرها وعن الإيمان به وتوحيده؟.

[١٤٩] ثم ذكرهم نبيهم صالح بنعمة أخرىٰ فقال لهم: وتنحتون مساكنكم في الجبال نحْتًا بحذقٍ وتفنن، ثم تتكبرون بذلك وتفتخرون بمهارتكم وقوتكم في بناء القصور ونحت الجبال.

[١٥٠-١٥١-١٥٢] وبعد هذا الاستنكار قال لهم صالح مخوفًا إيّاهم: فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك، ولا تطيعوا أمر المشركين المتجاوزين حدودهم، فإن من دأبهم الإفساد في الأرض بالشرك والصدّ عن سبيل الله، وليس من شأنهم الإصلاح في الأرض بالتوحيد والإيمان بالله والرسل.

[١٥٣-١٥٤] فأجابه قومه قائلين: لقد ذهب عقلك ياصالح، فقد سُحِرْتَ سحْرًا شديدًا غطّىٰ علىٰ عقلك فلم تعدْ تعي ما تقول، فما أنت إلّا بشرٌ مثلنا، فكيف تدَّعي أن الله فضّلك علينا بأن أرسلك إلينا؟!، وإن كنت كما تقول أنك رسولٌ من عند الله، فأْتِنا بعلامةٍ خارقةٍ لا يستطيعها البشر تدل علىٰ أنك رسول من عند رب العالمين.

[١٥٥-١٥٦] فقال لهم صالح: هذه ناقةٌ تخرج من الجبل جعلها الله لكم آيةً ومعجزةً لتؤمنوا وتصدّقوا، وهذه الناقة تشرب ماء البئر يومًا، وأنتم تسقون مزارعكم وأنفسكم وبهائمكم يومًا، وإياكم أن تمسوها بسوءٍ من ضربٍ أو عقْرٍ ونحو ذلك، فإنكم إن فعلتم أخذكم الله بعذابِه الشديد، وحلَّ بكم عقابُه الأليم.

[١٥٧-١٥٨-١٥٩] ولكنهم استمرُّوا في تكذيبهم وطغيانهم، وعقروا الناقة، أي: قطعوا عصب الركبة من الرِّجْل لكي تبرك؛ ثم لمَّا تيقنوا أن العذاب نازلٌ بهم أصبحوا نادمين علىٰ فعلتهم، ولكن بعد أن فات الأوان؛ فأهلكهم الله بالصيحة التي دمرتهم جميعًا، ثم بين سبحانه أن في هذا الخبر؛ لآية وعلامة واضحة تدلّ علىٰ صدق رُسُلِنا وصحة ما جاؤوا به، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يؤمنون بالله وشرعه، ولا يصدّقون رُسُله. واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ
١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٤
أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم
مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ
لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨
رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠
إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم
مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٣ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم
مُّؤۡمِنِينَ ١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٧٥ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ
لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمۡ
رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٠ ۞ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا
تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ ١٨١ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ ١٨٢
وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ١٨٣

[١٦٠] يخبر جل وعلا أن قوم لوطٍ كذّبوا دعوةَ نبيِّهم لوطٍ عليه السلام؛ حيث دعاهم إلىٰ التوحيد والإيمان، فلم يصدّقوه ولم يؤمنوا به، واعتُبر تكذيبهم له عليه السلام تكذيبًا لجميع الأنبياء والرسل، إذ دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، فمن كذّب بأحدهم، فقد كذّب بهم جميعًا.

[١٦١] قال لهم نبيهم وأخوهم في الوطنية لوطٌ: ألّا تتقون الله وتخافون من عقابه بسبب شرككم وعبادتكم غيره معه وارتكابكم للفاحشة.

[١٦٢-١٦٣] ثم قال لهم: لقد اختصَّكم الله بإرسالي إليكم، وأنا أمينٌ فيما أبلغكم عن ربي سبحانه وتعالىٰ، فلا أتقوَّل، ولا أفتري من قِبَل نفسي، فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك، وترك فاحشة اللواط.

[١٦٤] واعلموا ياقوم أني لا أطلب منكم أجرًا مقابل دعوتي إيّاكم للتوحيد، وإنما أجري وثوابي علىٰ الله رب العالمين.

[١٦٥-١٦٦] ثم قال لوط منكِرًا علىٰ قومه مُسْتَقْبِحًا فعلهم: أتُخالفون فطرتكم التي فطركم الله عليها فتنكِحون الذكور من الناس؟!، وتتركون ما هيَّأه الله لكم لتستمتعوا به من أزواجكم من النساء؟! بل أنتم قومٌ معتدون، وللفطرة مخالِفون.

[١٦٧] فأجابوه في غيٍّ محذرين إيّاه قائلين: لئن لم تكفَّ عنا يالوط، وعن الإنكار علينا؛ لنطردنَّك من بلادنا، ولننفينَّك عنها.

[١٦٨] فقال لهم لوط: إنّي لعملكم الذي تعملون لَمِن المبغضين الكارهين له أشدّ ما يكون من البغض والكراهية.

[١٦٩-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣] ثم توجّه لوطٌ إلىٰ ربه متضرّعًا داعيًا قائلًا: اللهم يارب نجّني وأهلي مما يعمل هؤلاء القوم، ونجني يارب ممّا يحل بهم من العقوبة والعذاب. فاستجاب الله له فنجّاه وجميع أهله من العذاب؛ إلّا امرأته فإنها كانت من الباقين في العذاب، وذلك لكُفرها وعنادها، ثم دمر الله جميع الباقين وأهلكهم واستأصلهم؛ بأن أمطر عليهم حجارةً من سجيل نزلت عليهم من السماء، فقبُحت حال أولئك المهلَكين الذين لم يستجيبوا لِمَن أنذرهم، ولم يستمعوا لِمَن حذَّرهم، وخالفوا الفطرة في عملهم.

[١٧٤] ثم ختم سبحانه هذه الآيات مبينًا أن في قصة لوط مع قومه لآية وعلامة واضحة تدلّ علىٰ صدق رُسُلِنا وصحة ما جاؤوا به، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يؤمنون بالله وشرعه، ولا يصدّقون رُسُله.

[١٧٥] واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

[١٧٦] يخبر جل وعلا أن أصحاب الأيكة كذّبوا دعوةَ نبيِّهم شعيب عليه السلام؛ حيث دعاهم إلىٰ التوحيد والإيمان، فلم يصدّقوه ولم يؤمنوا به، واعتُبر تكذيبهم له عليه السلام تكذيبًا لجميع الأنبياء والرسل، إذ دعوة الأنبياء واحدة، ودينهم واحد، فمن كذّب بأحدهم، فقد كذب بهم جميعًا. والأيكة بلدة تقع بين الأردن وبين الحجر وهي ذات بساتين ملتفَّة الأشجار.

[١٧٧] فقال لهم نبيهم شعيبٌ عليه السلام: ألّا تتقون الله وتخافون من عقابه بسبب شرككم وعبادتكم غيره معه؟! ولاحظ أن الله سبحانه لم يقل: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)، كما قال لمن قبله من الأنبياء؛ لأن شعيبًا لم يكن منهم؛ فهو من أهل مدين.

[١٧٨-١٧٩] ثم قال لهم: لقد اختصَّكم الله بإرسالي إليكم، وأنا أمينٌ فيما أبلغكم عن ربي سبحانه وتعالىٰ، فلا أتقوَّل ولا أفتري من قبل نفسي، فاتقوا الله وآمنوا به، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من التوحيد ونبذ الشرك.

[١٨٠] ثم قال لهم: واعلموا أني لا أطلب منكم أجرًا مقابل دعوتي إياكم للتوحيد، وإنما أجري وثوابي علىٰ الله رب العالمين.

[١٨١-١٨٢-١٨٣] ثم بدأ شعيب يعظهم ويأمرهم بإتمام معاملاتهم علىٰ الوجه المرضيِّ، فقال لهم: ياقوم أتمُّوا الكيْل لِمَن يكتال منكم، ولا تكونوا ممّن يظلم الناس فيأخذ منهم أموالهم عن طريق بخس المكيال والميزان، وأعطوا الناس حقَّهم بالميزان العدل المستقيم الذي لا ميْل فيه ولا عبث، وياقوم لا تنتقصوا من حقوق الناس التي هي لهم بأي شكل من أشكال الانتقاص، ولا تسيروا بالفساد والإفساد في الأرض ببقائكم علىٰ الشرك وإقامتكم علىٰ الظلم ومداومتكم علىٰ المعاصي.

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٨٤ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ
ٱلۡمُسَحَّرِينَ ١٨٥ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ
ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ
مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ
ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ
عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً
أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ
١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ
فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ
ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢ فَيَقُولُواْ
هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ
إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦

[١٨٤] ثم قال لهم شعيب: وخافوا ربكم الذي خلقكم، وخلق الخليقة والأمم من قبلكم، واخشوا عقابه؛ وذلك بأن تؤمنوا به وتوحدوه، وتتركوا التطفيف والغش في الميزان والكيل.

[١٨٥-١٨٦] فأجابوه قائلين: إنك ياشعيب ممّن سُحِرَ سِحْرًا شديدًا فغلب علىٰ عقله، فلم يعد يدرِ ما يقول. وما أنت ياشعيب إلّا واحد من البشر مثلنا؛ لا مزيّة ولا فضيلة لك علينا، وما نحسبك إلّا كاذبًا في زعمك أنك رسولٌ من عند الله.

[١٨٧] ثم قالوا له علىٰ وجه التعنّت والاستكبار: إن كنت صادقًا فيما تقول؛ فادعُ الله أن ينزل علينا من السماء قطَعًا من العذاب تستأصلنا وتهلكنا جميعًا.

[١٨٨] ولكن شعيبًا لم يستجب لاستفزازهم، فقال لهم: إن ربي بما تعملون خبير، فهو عالمٌ بشرككم وبأقوالكم وعنادكم، وسيجازيكم علىٰ ذلك، أما أنا فما عليّ إلّا تبليغكم ونصحكم وإنذاركم.

[١٨٩] ولكنهم استمرُّوا علىٰ تكذيبه وجَحْد ما أُرسِلَ به إليهم؛ حتىٰ نزل بهم عذاب الله، فجاءت سحابةٌ فاستظلوا بها واجتمعوا تحتها، فأنزلت عليهم نارًا حاميةً فأحرقتهم، وعن بكرة أبيهم أهلكتهم، في يوم شديد الهول، عظيم الكرْب. نسأل الله السلامة والعافية.

[١٩٠] ثم ختم سبحانه هذه الآيات مبينًا أن في قصة شعيب مع أصحاب الأيكة لآية وعلامة واضحة تدلّ علىٰ صدق رُسُلِنا وصحة ما جاؤوا به، ومع ذلك فإن أكثر الناس لا يؤمنون بالله وشرعه، ولا يصدّقون رُسُله.

[١٩١] واعلم يانبي الله أن ربك لهو العزيز الغالب علىٰ أمره، فبعزَّته أهلك المكذبين المعاندين، وهو سبحانه الرحيم بعباده المؤمنين؛ حيث نجاهم وحفظهم، ويسّر سبل الهداية لهم.

[١٩٢-١٩٣-١٩٤] واعلم يانبي الله أيضا أن هذا القرآن الذي جاء بهذه الأخبار المفصلة عن الأمم السابقة هو مُنَزَّلٌ من عند الله خالق الخلق أجمعين، وقد نزل به جبريل عليه السلام كاملًا منجمًا علىٰ قلبك لتنذر به الثقلين الإنس والجن، وتبين لهم سوء العاقبة لمن أصر علىٰ الكفر والفسوق.

[١٩٥] ثم بين سبحانه أن هذا القرآن نزل بلغةٍ عربيةٍ واضحةٍ بينةٍ لا خفاء فيها.

[١٩٦] واعلموا أيها الناس أن الرسول ﷺ وهذا القرآن مذكورٌ ومُبَشَّرٌ به في الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل.

[١٩٧] ثم قال سبحانه: أولم يكفِ المكذبين والمشركين من كفار قريش عِلْمُ علماء بني إسرائيل - ممّن آمن وصدّق بمحمد ﷺ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه - دليلًا علىٰ صحة القرآن، وأنه حقٌّ، وأنه منزَّلٌ من عند الله؟!.

[١٩٨-١٩٩] واعلموا لو أنَّ الله جل في علاه نزّل هذا القرآن علىٰ بعض الأعاجم الذين لا يتكلمون العربية، فجاء لكفار قريش وقرأه عليهم قراءةً صحيحةً لمَا آمنوا به، ولمَا صدّقوه أيْضًا.

[٢٠٠-٢٠١] وبسبب إصرار هؤلاء المجرمين علىٰ رد الحق بل ومحاربته فقد جعل سبحانه جحود القرآن في قلوبهم ثابتًا حتىٰ طبع الله عليها بسبب ظلمهم واستكبارهم. ثم بين سبحانه أنه لا سبيل لهم للإيمان بهذا القرآن حتىٰ يروا بأعينهم العذاب الشديد الذي أعده الله لهم، وحينئذٍ لا ينفع إيمانهم إذ أن وقته قد فات، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم كانوا يظلمون.

[٢٠٢-٢٠٣] وهذا العذاب الأليم سوف ينزل عليهم فجأة وهم لا يتوقعون إتيانه ولا يشعرون به، فيقولون حينها: هل نحن مُؤَخَّرون قليلًا لنؤمن ونصدّق، ونستدرك ما فاتنا، فيتمنون الإمهال، ولكن الوقت قد فات.

[٢٠٤] بل اغترَّ هؤلاء المشركون بإمهال الله لهم، وأنه لم يعاجلهم بالعقوبة؟ فطلبوا استعجال نزول العذاب بهم استهزاءً به وتكذيبًا له.

[٢٠٥-٢٠٦] ثم قال جل شأنه: أرأيت يانبي الله إن متّعنا هؤلاء المجرمين في الدنيا فأطلنا أعمارهم، ووسعنا أرزاقهم، وأمهلناهم، ثم نزل بهم ما كانوا يوعدون من العذاب، وحلّ بهم ما كانوا يستعجلون من العقاب؟! فهل نَفَعَهُمْ يا رسول الله إمهالنا لهم؟!. ولا شك أن تمتعهم بالإمهال ليس شيئًا بالنسبة للعذاب السرمدي في الآخرة.

مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا
لَهَا مُنذِرُونَ ٢٠٨ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٢٠٩ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ
ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ
ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ٢١٢ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ
جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢١٦ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي
يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلۡعَلِيمُ ٢٢٠ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ٢٢٣
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ
يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧

سُورَةُ النَّمۡلِ

[٢٠٧] واعلموا أن إمهال الله لهم سنين طويلة وتمتعهم بكل أنواع اللذات والشهوات لن يغني عنهم شيئًا إذا حلّ عذاب الله بهم؛ بل عند حلول العذاب سينسون ما كانوا فيه من المتاع والنعيم، وقد جاء عند مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا: «يُؤتىٰ بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبَغُ في النار صبغةً ثم يُقال له: ياابن آدم: هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله، يارب». نسأل الله السلامة والعافية.

[٢٠٨] ثم أخبر جل في علاه أنه ما أهلك أمةً من الأمم، ولا أخذهم بعذابٍ إلّا بعد أن أنذرهم وبعث فيهم رسولًا يأمرهم بعبادة الله وحده، وتَرْكِ عبادة ما سواه.

[٢٠٩] واعلموا أن الله أرسل لهم الرسل إنذارًا وعِظَةً لهم وإقامةً للحجّة عليهم، وما كان الله ظالمًا لأمةٍ من الأمم في تعذيبه إيّاهم.

[٢١٠-٢١١-٢١٢] واعلموا أيها المشركون المعاندون أن الشياطين لم تتنزل بالقرآن علىٰ محمد ﷺ - كما تزعمون -، ولا ينبغي لهم ذلك؛ بل إنهم لا يستطيعون فعل هذا الأمر لأنهم معزولون عن استماع القرآن أثناء نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا حارقة؛ حالت بينهم وبين استراق السمع.

[٢١٣] واحذر يانبي الله أنْ تدعُ أحدًا غير الله، فينزل بك من العذاب ما ينزل بهؤلاء المشركين، فالله جل في علاه لا يرضىٰ أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته، لا مَلَكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسَل، ولا شك أن النبي ﷺ معصوم من الشرك ومما هو أقل من ذلك، ولكن يخاطب بذلك ليبلغ أمته لأنه هو الأسوة لهم.

[٢١٤] أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن ينذر عشيرته وأقرب الناس إليه، ويحذرهم من عذاب الله أن ينزل بهم كما نزل بالمجرمين من قبلهم، وليعلموا أن قرابتهم منه ﷺ لن تنجيهم من عذاب الله إذا أصروا علىٰ الشرك والكفر والضلال.

[٢١٥] ثم أمر جل في علاه نبيه ﷺ أن يكون لين الجانب متواضعًا لمن اتبعه من المؤمنين، وقد فعل صلوات ربي وسلامه عليه.

[٢١٦] ثم قال له سبحانه وتعالىٰ: فإن عصوك يا نبي الله وخالفو أمرك، ولم يطيعوك؛ فأعلِن براءتك من أعمالهم، ومن مخالفتهم وعصيانهم.

[٢١٧-٢١٨-٢١٩] ثم أمر جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ أن يجعل توكله علىٰ صاحب العزة والغلبة، الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يراه سبحانه حين يقوم للصلاة والعبادة وحده في آخر الليل، ويرىٰ تقلبه مع المصلين وهو يصلي بهم.

[٢٢٠] ثم بين سبحانه وتعالىٰ أنه هو السميع لأصوات عباده علىٰ اختلافها وتنوعها، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، لا تخفىٰ عليه جل في علاه خافية من أمرك.

[٢٢١-٢٢٢-٢٢٣] ثم طلب جل وعلا من نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين: هل أخبركم علىٰ من تتنزل الشياطين؟ إنها تتنزل علىٰ الأفاكين الكذابين، والمنجمين والعرافين، وهؤلاء الشياطين يسترقون السمع من الملأ الأعلىٰ فإذا سمعوا كلمة حقٍّ أضافوا إليها مائة كلمة باطلة؛ وألقوا بها إلىٰ هؤلاء المنجمين الكذابين، أما محمد ﷺ فإن الله أكرمه وجعله الصادق الأمين.

[٢٢٤] واعلموا أيها الناس أن أكثر الشعراء يقوم شعرهم علىٰ الباطل والكذب والزور، وأن أكثر من يتبعهم هم أهل الضلال والفساد من البشر.

[٢٢٥] ثم قال جل وعلا لنبيه ﷺ: ألم تنظر يانبي الله أن هؤلاء الشعراء يخوضون في كل فن من فنون الكذب والفحش.

[٢٢٦] ثم بين سبحانه أن هؤلاء الشعراء يقولون ما لا يفعلون؛ فيبالغون في مدح أهل الباطل وانتقاص أهل الحق؟.

[٢٢٧] ثم استثنىٰ جل وعلا الشعراء الذين آمنوا بالله وصدقوا الرسول ﷺ وعملوا الأعمال الصالحة، وأكثروا من ذكر الله تعالىٰ، ويقولون الحق ويدافعون عن الإسلام، وانتصروا من بعد ما ظُلموا من أعدائهم، ثم هدد سبحانه الظلمة والفساق من الشعراء وغيرهم الذين ظلموا غيرهم بهجائهم في شعرهم واتهامهم بتهم باطلة، وأخبر بأن منقلبهم سوف يكون سيئًا جزاءَهم وبيلًا.